يصب عليهم ربهم كل لحظة سياط عذاب قد توالى صبوبها
تجدد ما إن تبل نضجاً جلودهم فيا لجلود رحمة لا تصيبها
ويا لجحيم لا مريح لأهلها ولا راحم بل لايشاب سنيبها

***

اسكان بيت النار ماذا فعلتم وما ذنبكم حتى صلاكم وجيبها
ألم تحسنوا افعالكم في حياتكم الم يبر مرضى الفقر منكم طبيبها
ألم تصنعوا المعروف في كل امة فيدمل فيكم جرحها وتدوبها
ألم تشفقوا عطفاً على كل بائس فيثني معناها ويكسى سليبها
تقالوا على والنار تلفح اوجهاً لهم قد بدا بعد الوضاء شحوبها
ولكنها «ساداتنا كبراؤنا» بهم قد أخذنا والذنوب ذنوبها
اتونا باقوال على الحق زورت فظلنا لها حين يدعو خطيبها
فحيق بنا مكراً لسيء مكرنا غداة لنا كانت رحاباً دروبها
ولم يك لولا مركب الجهل ما ترى فلا لوم ان بتنا ونحن سروبها
«اذا لم تكن غير الجهالة مركباً فما حيلة المضطر الا ركوبها»

بغداد كاظم الدجيلي

المآخذ الشعرية

(تابع ما قبله)

وسأل معاوية بن ابي سفيان صعصعة بن صوحان ما الجود . فقال : التبرع بالمال والعطية قبل السؤال . فأخذه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وقال

كريم على العلات جزل عطاؤه ينيل وان لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطي اذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال

وقال معاوية لزرارة : اتاني اليوم نعي سيد شباب العرب . قال زرارة يا امير المؤمنين هو ابني او ابنك قال بل ابنك . قال للموت ما تلد الوالدة . فعقده الشاعر بقوله

وللموت تغدو الوالدات سخالها كغراب الدمن تبنى المساكن

وقال المهلّب بن ابي صفرة لبنيهِ : يا بنيّ اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلّماً فكفى بذلك تقاضياً . فتناولهُ الشاعر وقال

أروح بتسليمي عليك واغتدي وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

وقال الآخر بمعناهُ

كيف اصبحتَ كيف امسيت مما يغرس الودّ في فؤاد اللبيبِ

وقال ايضاً لبنيهِ : اتقوا زلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر رجلهُ فيقوم من عثرتهِ ويزلُّ لسانهُ فيكون فيهِ هلاكهُ . فتناولهُ الشاعر وقال

جراحاتُ اللسان لها التئامُ ولا يلتام ما جرح اللسانُ

وقال صفي الدين الحلّي

فقد يقال عثارُ الرجل ان عثرت ولا يقال عثار الرأي ان عثرا

وقال الشعبي لعبد الملك : انك على ايقاع ما لم توقع اقدر منك على رد ما اوقعت . فعقدهُ الشاعر قائلاً

فداويتهُ بالحلم والمرء قادرٌ على سهمهِ ما دام في يدهِ السهمُ

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيهِ كل مذهب فاعجب عبد الملك ما سمع من كلامهِ فقال لهُ : ابن مَن انت . قال انا ابن نفسي يا امير المؤمنين التي بها توصلت اليك . قال صدقت . فتناولهُ الشاعر بقولهِ

مالي عقلي وهمتي حسبي ما انا مولىً ولا انا عربي
اذا انتمى منتمٍ الى احدٍ فانتي منتمٍ الى ادبي

وقال الآخر بمعناهُ

كن ابن من شئت واكتسب ادباً يغنيك محمودهُ عن النسبِ
ان الفتى من يقول ها انا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي

وقال ابن الوردي مما بهِ ايضاً

لا تقل اصلي وفصلي ابداً انما اصل الفتى ما قد حصل
انما الورد من الشوك وما ينبت النرجس الاّ من بصل

وعقد ابن الرومي قول عبد الملك : ان كان الحقد اقاء الخير والشرّ فهما باقيان في صدري فانهُ خزانة تحفظ ما استودعت من خير او شرّ

لئن كنتُ في حفظي لما انا مودعٌ من الخير والشرّ انحيتُ على عرضي

لما عبتني الا بفضل ابانتي ورب امرئ يزرى على خلق محض
وما الحقد الا توأم الكبر في الفتى وبعض السجايا ينتمين الى بعض
فحيث ترى حقداً على ذي إساءة فثم لها شكراً على حسن القرض

ولما ثقل بكاء ولد هشام بن عبد الملك عليه وهو مدنف قال لهم: جادكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب. ما أسوأ حال هشام ان لم يغفر الله له. فاخذ معناه محمود الوراق وقال

تمتع بمالك قبل الممات والا فلا مال ان انت متا
شقيت به ثم خلفته لغيرك بعداً وحقاً ومقتا
فجادوا عليك بزور البكاء وجدت عليهم بما قد جمعتا
وارهنتهم كل ما في يديك وخلوك رهناً بما قد كسبتا

وقال ابن عباس: لو بغى جبل على جبل لدك الباغي. وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين لاخيه الامين بهذا المعنى

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاعدل فغير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوماً على جبل لا ندك متة اعاليه واسفله

وقال الخفاجي بمعناه

ان يعد ذو بغي عليك فحلم وارقب زمانا لانتقام الطاغي
واحذر من البغي الوخيم فلو بغى جبل على جبل لدك الباغي

وعقد البلوي الشافعي ما روي عن ابن عباس بقوله

وقال ابن عباس ثلاث جزاء من حباني بها لا يستطاع فيحصر
سماع لتحديثي وقصدي لحاجتي وتوسعة لي مجلساً حين احضر

وقال الخليفة المنصور العباسي لابنه المهدي: لا تهرمن امراً حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه قبيحه وحسنه. فاخذه ابن المعتز بقوله

وأسأر مني الدهر عضباً مهنداً يفل شبا حدي وقلباً مشيعا
ورأياً كمرآة الصناع ارى به سرائر غيب الدهر من حيثما سعى

ولما قتل المنصور ابنه محمداً وكان عبدالله في السجن بعث اليه برأسه مع الربيع حاجبه فوضعه بين يديه وخاطبه بكلام لا محل لذكره هنا ثم التفت الى الربيع فقال له: قل لصاحبك: قد مضى من بؤسنا مدة ومن نعيمك مثلها والموعد الله تعالى. فاخذ العباس بن الاحنف

معناهُ وقيل عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فقال

فان تلحظي حالي وحالك مرةً بنظرة عينٍ عن هوى النفس تحجبُ
تري كلَّ يوم مرَّ من بؤس عيشتي يمرُّ بيوم من نعيمك يحسبُ

وقال عبدالله بن مسعود: حدِّث الناس ما حدثوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم فاذا رأيت منهم فتوراً فامسك . ومنهُ تناول ابو الفتح البستي قولهُ

اذا احسستَ في لفظي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيانِ
فلا ترتب بفهمي ان رقصي على مقدار ايقاع الزمانِ

وحبس هرون الرشيد رجلاً ثم سأل عنهُ بعد زمان فقال للموكل بهِ: قل لهُ كل يوم يمضي من نعمهِ ما يمضي من بؤسي مثلهُ والامر قريب والحكم لله تعالى . فاخذهُ الشاعر وقال

لو ان ما انتم فيهِ يدوم لكم ظننتُ ما انا فيهِ دائماً ابدا
لكنني عالمٌ اني وانتكمُ سنجدُ خلاف الحالتين غدا

واجتمع يحيى بن خالد في مجلس للرشيد وفيهِ عبد الملك بن صالح فاراد يحيى ان يضع من عبد الملك ليُرضي الرشيد فقال لهُ: يا عبد الملك بلغني أنك حقود . فقال عبد الملك: ايها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشرّ انهما لباقيان في قلبي . فقال الرشيد: تالله ما رأيتُ احداً احتجَّ للحقد بأحسن مما احتجَّ بهِ عبد الملك . ومنهُ أخذ ابن الرومي مادحاً الحقد وزاد فيهِ بقولهِ لعائب عابهُ

لئن كنت في حفظي لما انا مودعٌ من الخير والشرّ انتجبت على عرضي
لما عبتني الاَّ بفضل ابانة وربَّ امرئٍ يزرى على خلق محضِ
ولا عيب ان تجزى الفروضُ بمثلها بل العيب ان تدّان ديناً ولا تقضي
وخير سجيّات الرجال سجيةٌ توفّيك ما تسدي من القرض بالقرضِ
اذا الارض ادّت ربع ما أنت زارعٌ من البذر فيها فهي ناهيك من أرضِ
ولولا الحقودُ المستكنّاتُ لم يكن لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقضِ
وما الحقد الاَّ توأم الشكر في التقى وبعض السجايا ينتهينَ الى بعضِ
فحيث ترى حقداً على ذي اساءةٍ فثمَّ ترى شكراً على حسن القرضِ .

وألمَّ ابن الرومي هذا بمعنى قول العباس بن محمد للرشيد: يا أمير المؤمنين انما هو درهمك وسيفك فازرع بذلك من شكرك . واحصد بهذا من كفرك . فقال الرشيد ما أجد لذلك غير هذين

لم أرَ شيئاً صادقاً نفعهُ للمرء كالدرهم والسيفِ
يقضي لهُ الدرهم حاجاتهِ والسيف يحميهِ من الحيفِ

وقال عبد الملك بن صالح بن علي للرشيد لما سألهُ فكيف ليلٌ منبج، هو سحرٌ كلهُ فاخذ معناهُ ابن المعتز وقال

يا ربَّ ليلٍ سحرٌ كلهُ مفتضح البدر عليل النسيم

وتناولهُ ابو تمام بقولهِ

أيامنا مشمولةٌ اطرافها بك والليالي كلها أسحار

وعقد الآخر قول المأمون بن هرون الرشيد : لا شيءَ ألذ من سفرٍ في كفاية لانك في كل يوم تحل محلة لم تحلها وتعاشر قوماً لم تعاشرهم

لا يمنعنك خفض العيش في دعةٍ من ان تبدّل اوطاناً بأوطانِ
تلق بكل بلادٍ ان حللتَ بها اهلاً باهلٍ واخواناً باخوانِ

وسخط المهدي على يعقوب بن داود فاحضرهُ وقال لهُ من كلام طويل : لولا الحسب في دمك لالبستك قميصاً لا تشدّ عليهِ ازراراً . فاخذهُ ابو تمام الطائي وقال

طوقتهُ بالحسام طوق ردًى اغناهُ عن مسّ طوقهِ يدهُ

وقال ابن عمر بهذا المعنى

طوّقتهُ بحسام طوق داهية لا يستطيع عليهِ غدّ ازرارِ

وقال المفضل الضبي قال لي المهدي يوماً : ابغض شيء اليَّ ان اجعل عمل اليوم في غد . فقلت لهُ : ان الحزم يا امير المؤمنين كما قال اخو تميم

اخوك لهُ عزمٌ على الحزم لم يقل غداً يومها ان لم تعقهُ العوائقُ

فعقدهُ الخفاجي بقولهِ

اخوك الذي ان جئتهُ لمهمّة يشمّر عن ساقٍ بعزم مشمّرِ
يبادر امر اليوم قبل مضيّهِ وليس محيلاً في الامور على غدِ

وقال المتوكل لابي العيناء كيف ترى دارنا هذه قال : يا امير المؤمنين عهدي بالناس يبنون الدور في هذه الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك هذه فعقدهُ بعضهم بقولهِ

رأيتا طلعة الدارِ شموساً مع اقمارِ
بنيتَ الدار في دنياك ام دنياك في الدارِ

وعقده الزبيدي

لما بنى الناس في دنياك دورهم ... بنيت في دارك القراء دنياها
فلو رضيت مكان البسط اعيننا ... لم تبق عيناً لنا الا فرشناها

وقال علي بن العباس الرومي لابي الصقر اسمعيل بن بلبل لما نكبه الموفق ابو احمد والم في بعض قوله بقول ابي العيناء لعيسى بن فرخان

لا زال يومك عبرة لغدك ... وبكت بشجو عين ذي حسدك
فلئن نكبت لطالما نكبت ... بك همة لجأت الى مندك
لو تجحد الايام ما سجدت ... الا ليوم فتّ في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها ... ما كان اقبح حسنها بيدك
فلقد غدت يزداد على كبدي ... لما غدت حزّاً على كبدك
ورأيت نعمى الله زائدة ... لما استبان النقص في عددك
ولقد تمنّت كل ماعقق ... لو انها صبّت على كتدك
لم يبق لي مما يرى جسدي ... الا بقاء الروح في جسدك

وقال الاصمعي وجدني ابو عمرو بن العلاء مارًّا في بعض ازقة البصرة فقال: الى اين يا اصمعي فقلت: لزيارة بعض اخواني فقال: يا اصمعي ان كان لفائدة او عائدة والا فلا. وقد انشد في ذلك يوسف الحلبي

يا ايها الاخوان اوصيكم ... وصية الوالد والوالدة
لا تثقلوا الاقدام الا الى ... من لكم في امره فائدة
إما لعلم تستفيدونه ... او لكريم عنده مائدة

وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي: خلق من كل قلب فهو يغني كلاً ما يشتهيه. فاخذه ابن وكيع التنيسي بقوله

رأي الورى في سواه مختلف ... وأنت تلتاه فيه متفقا
وكل قلب اليه منصرف ... كأنه من جميعها خلقا

والم به الآخر بقوله

كأنك من كل النفوس مركب ... وأنت الى كل للانام حبيب

زحله عيسى اسكندر المعلوف